

نعم نستطيع ان نعود أغنى مما كنا، فلبنان لا تنقصه الخبرات والقدرات والمقومات، شعبنا يملك مهارات كثيرة، كما نتمتع ببلد نُحسد عليه من حيث الطبيعة والمناخ والتنوع، نملك كل ذلك ولكننا فشلنا في استغلال هذه المقومات لبناء الاقتصاد، في حين مثلاً سنغافورة، والتي تشكّل مساحتها 1 على 15 من مساحة لبنان، وشعبها (6 ملايين نسمة) كان لا يملك مهارات، استطاعت ان تتحول الى احدى اقوى الاقتصادات في العالم، وقامت بتطوير مهارات شعبها. كان من المفروض ان نكون أغنى منهم، ولكننا نعيش تحت لعنة الفساد والطائفية، وهما آفتان نجحتا بقتل اية محاولة انماء عبر السنين.

اما كيف سنتمكن من النهوض مجدداً، فهذه بعض الافكار الاساسية:

- أولاً، إيقاف الهدر والفساد جذرياً، وهو المسؤول عن افلاسنا في الدرجة الاولى. فأشدّد على أنّ لبنان ليس مفلساً بل تمّت سرقة ونهبه، ولن نتمكن من السيطرة على ذلك من دون قانون الشفافية المطلقة والبيانات المفتوحة. انّ اعتماد الشفافية المطلقة سيعزز الثقة الخارجية والداخلية بأية سلطة سياسية ستمارس الحكم في المستقبل، وسيُصبح من الصعب جداً تكرار جرائم الفساد ونهب الدولة. وتصيح الضرائب المدفوعة وعائدات الدولة تخضع للمراقبة المباشرة من اي مواطن دون الحاجة الى وسيط.
- ثانياً، إعادة ربط المغترب ببلده عبر إعادة كسب ثقته بأنّه لن يتمّ نهبه كلما جاء الى لبنان، فنعمد اسساً اخلاقية وشفافة في التعامل معه، وإيقاف محاولة استغلاله وغشه، بدءاً من التاكسي الى الفندق، الدكان وصولاً الى المصارف. إعادة الثقة سيُعيد ربطنا بجالية عريضة تحب لبنان وتريد مَدّ جسور التواصل والاستثمار، ألا أنّ ما يمنعها هو فسادنا وانعدام شفافتنا، جالية منها من لم يزر لبنان مطلقاً ومنهم من زار لبنان واصطدم بالفساد والاستغلال.
- ثالثاً، بناء عقلية جديدة للانتقال الى الاقتصاد المنتج، فنحن نصنّف الاعمال على أنّها شريفة وغير شريفة، فننظر الى بعض الاعمال، مثل تنظيف الطرق والاعمال اليدوية في الزراعة وفي البناء او في البيوت، على أنّها غير شريفة ونسعى الى اعطائها لوافدين من بلدان أخرى، وهذا خطأ يكلفنا الكثير.
- كل عمل منتج هو عمل شريف. صحيح أنّ هناك أعمالاً تحتاج قدرات علمية او قدرات جسدية او دراسات طويلة ليست بمتناول كل شخص، ولكن المطلوب من الجميع ان يستغل القدرات التي يملكها بأحسن طريقة ممكنة ولو كانت محدودة، وهذا ليس له علاقة بالشرف، انّ العمل لا يحدّد شرف الإنسان، فالعامل الشريف هو الذي يعطي عمله الجهد والمثابرة والامانة الكاملة.

وأود هنا التشديد على فكرة بالغة الاهمية، تجمع بين الاغتراب وشرف العمل، انّ معظم الثروات المحلية لم تُصنع في لبنان، هي تعب وشقاء اجيال هاجرت من لبنان وناضلت لمساندة عائلاتها، فعمل اجدادنا في مصانع، لأنّ العمل فيها كان لا يفرض معرفة اللغة او مهارات خاصة، وتركت جداتنا عائلاتهم وهاجرن وحملن «الكثّة» ووقفن وجلن في الطرقات لبيع أدوات بسيطة وجني القروش لجمع لقمة العيش. لقد ازدهرنا بسبب تعبهن وتضحيتهم وعلمهم البسيط، تكونت ثرواتنا لأنهم لم يخجلوا ان يعملوا في مهن بسيطة كما يحصل اليوم. هم الذين تحمّلوا اصعب الظروف، لن ننسى فضلهم على كل واحد منا، هم فخرنا، وسنشرح لأولادنا وللأجيال القادمة كيف غيرت تضحياتهم حياة الكثيرين، وكانوا السبب بصنع ثروات وبحبوبة لعائلات كثيرة، وكى لا ننسى انّ اي امتياز وبحبوحة هما نتيجة اشخاص جبابرة، قطعوا البحار، حُرّموا من عائلاتهم، وعملوا في الطرقات والمعامل، ذرفوا دموعاً، عرقاً ودماءً، ليؤمنوا حياة كريمة ومستقبلاً زاهراً لأحبابهم. فعلينا ان نحترم هذه الاعمال الصغيرة ولا نتعالى عليها لأنّها أساس نعمتنا.

- رابعاً، مرض الطائفية المقيت الذي لا يزال يفتك بلبنان ويهدم فرص نموه، نحتاج الى قناعة شاملة بأننا شعب واحد في وطن واحد، وان لم نقم بذلك يجب أقلّه ان نتوقف عن خداع انفسنا ونتوهم بأننا شعب واحد، واذا أفزينا أنّه من المستحيل العيش سوياً، فربما يجب البحث عن حلول اخرى لوطن تمزقه انتماءاته الطائفية، ويبدو أنّ هناك العديد من المستفيدين من الطائفية ويسعون لتأجيجها. واعدود الى مثل سنغافورة التي نجحت بالرغم من تنوعها الطائفي وحتى العرقي والإثني، من بناء مجتمع موحّد، استطاع ان ينقل سنغافورة من مستنقع الى بلد متطور وغني. اما نحن، فحوّلنا بلداً غنياً مليئاً بالمقومات والفرص الى مستنقع مفلس.

أقلّه يجب ان تبادر كل الاطراف الى الموافقة على الزواج المدني لنقتنع ولو قليلاً اننا نسعى الى بناء مجتمع موحّد.

واود توجيه ملاحظة بالغة الاهمية لكل الاحزاب والتيارات من دون استثناء، ان نتوقف عن توجيه اية انتقادات او تصريحات عدائية تجاه اي دولة اقليمية من جيراننا او المنطقة او عالمياً في اي مكان، لاننا لا نملك ترف مخاصمة احد. بل نحتاج ان نكون بعلاقة طيبة مع الجميع، ونستقبل الجميع، لأنّ معاداة احد لن تفيدينا بشيء. والاهم، انّ لبنان هو اصغر واضعف من ان يلعب اي دور في اي صراع اقليمي او استراتيجي، وتاريخياً كان انخراطنا في اي صراع اقليمي والوقوف مع اي طرف، ما كان ينتهي بضرر كبير علينا ويخسارتنا الكثير. نحتاج ان نبني اقتصادنا ونؤمن البحبوحة للجميع، وبالتالي يجب ان نكون على علاقة طيبة مع «الكل»، وهذه المرة فقط أقول «كلن يعني كلن».

أخيراً، لن أفقد الامل ببناء لبنان الحديث، لبنان المنتج الذي لا يخجل ابناؤه من العمل والجهد، الى بلد يحتضن قدرات ومهارات شبابه ومغتربيه، الى بلد يطبّق قانوناً متقدماً للشفافية المطلقة، ويعلم العالم كيف يكون رائداً بالشفافية مثلما علمهم الحرف.

